

تفسير البغوي

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ^ج وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

قوله تعالى : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اختلفوا في معنى هذه الآية ، فقال

محمد بن إسحاق : هذا حكاية عن المشركين أنهم قالوها وهي متصلة بالآية الأولى ،

وذلك أنهم كانوا يقولون : إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفره ، ولا يعذب أمة ونبيا معها ،

فقال الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - يذكر جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على

أنفسهم : " وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك " الآية ، وقالوا " وما كان الله

ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون " ثم قال ردا عليهم : " وما لهم

ألا يعذبهم الله " ؟ وإن كنت بين أظهرهم وإن كانوا يستغفرون " وهم يصدون عن

المسجد الحرام " . وقال الآخرون : هذا كلام مستأنف يقول الله - عز وجل - إخبارا عن

نفسه : " وما كان الله ليعذبهم " . واختلفوا في تأويلها ، فقال الضحاك وجماعة : تأويلها وما

كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم بين أظهرهم ، قالوا : أنزلت هذه الآية على رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - وهو مقيم بمكة ، ثم خرج من بين أظهرهم وبقيت بها بقية من

المسلمين يستغفرون ، فأنزل الله تعالى : " وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون " ، ثم
خرج أولئك من بينهم فعدبوا ، وأذن الله في فتح مكة ، فهو العذاب الذي وعدهم . قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : لم يعذب الله قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا
ويلحق بحيث أمر . فقال : " وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون " يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله تعالى : " وما لهم ألا يعذبهم الله " ،
فعدبهم الله يوم بدر . وقال أبو موسى الأشعري : كان فيكم أمانان " وما كان الله ليعذبهم
وأنت فيهم " ، " وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون " فأما النبي - صلى الله عليه وسلم
- فقد مضى والاستغفار كائن فيكم إلى يوم القيامة . وقال بعضهم : هذا الاستغفار راجع
إلى المشركين وذلك أنهم كانوا يقولون بعد الطواف : غفرانك غفرانك . وقال يزيد بن رومان
: قالت قريش إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، فلما
أمسوا ندموا على ما قالوا ، فقالوا غفرانك اللهم ، فقال الله - عز وجل - " وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون " . وقال قتادة والسدي : معناه : وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون ، أي : لو استغفروا ، ولكنهم لم يكونوا يستغفرون ، ولو أنهم أقروا بالذنب ،

واستغفروا ، لكانوا مؤمنين .وقيل : هذا دعاء إلى الإسلام والاستغفار بهذه الكلمة ،

كالرجل يقول لغيره لا أعاقبك وأنت تطيعني ، أي أطعني حتى لا أعاقبك .وقال مجاهد

وعكرمة : وهم يستغفرون أي يسلمون . يقول : لو أسلموا لما عذبوا . وروى الوالبي عن

ابن عباس : أي وفيهم من سبق له من الله أن يسلم ويؤمن ويستغفر وذلك مثل : أي

سفيان ، وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، وحكيم بن حزام

وغيرهم .وروى عبد الوهاب عن مجاهد : وهم يستغفرون أي وفي أصلايهم من يستغفر .